الفكاهة في شعر شوقي

قد يبدو هذا العنوان تقليدياً ، ولكن التناول التالي ليس تقليدياً بالتأكيد لسببين على الأقل :

أولهما : أن الدراسات التي تناولت شعر شوقي - على تعددها - لم تقف كثيراً عند الفكاهة في شعره ، ومرت بها مروراً سريعاً في سياق تعدادها لأغراض شعره لا أكثر.

ثانيهما : أن معظم الدراسات التي تناولت شعر شوقي كانت تقتصر على ديوان الشوقيات بأجزائه ، ولم تكن تتعدى ذلك لدراسة شعره المسرحي ، تاركة ذلك لتلك الدراسات المتخصصة التي اقتصرت على دراسة مسرحياته وهذه بدورها لم تتوقف كثيراً عند الأبيات الفكاهية إلا بقدر ضئيل لأن جل اهتمامها كان ينصب على الدراسة الفنية للعمل المسرحي أو لفنه أو لشخصيته - إلخ .

من هذا المدخل سوف نقف بالقاريء عند جانبين من جوانب الفكاهة في شعر شوقي وهما :

محجوبيات أحمد شوقي :

المحجوبيات هي تلك القصائد التي قالها شوقي في صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو طبيب ونقابي وسياسي معروف كانت له لوازم صوتية وحركية مضحكة أو هكذا شاء له أصدقاؤه كشوقي وحافظ .

وقد كان الدكتور محجوب ثابت من أشهر الأطباء في عصر شوقي ، وكان ميالاً إلى تشجيع النشاط العمالي من خلال التجمعات العمالية التي تحولت إلى نقابات فيما بعد . وكانت شخصيته مثيرة للشعراء بسبب عاداته الغريبة التي يتمسك بها ومنها تدخينه الغليون (البيب) واستعماله حصاناً في التنقل في ميادين القاهرة وشوارعها يركض به بين السيارات المارقة . وقد أطلق أصدقاؤه على هذا الحصان اسم " مكسويني " وهو اسم بطل ايرلندي مشهور انتحر جوعاً وفي هذه التسمية غمز للدكتور محجوب ثابت بأنه كان يُجيع حصانه وقد استبدل به صاحبه فيما بعد سيارة نالت هي أيضاً نصيباً وافراً من سخرية شوقي . كما كان من لوازم محجوب ثابت ذلك الكم الوافر من القافات التي تتخلل عباراته ، وسط شارب كثيف من الشعر ، ولحية لا تقل عنه كثافة .

وقد كتب شوقي في " مكسويني " حصان الدكور محجوب ثابت قصيدة جعل هذا الاسم "مكسويني " عنواناً لها قال فيها :

تـُفدِّيك - يا مكسُ – الجيادُ الصلادم ... وتفدي الأَساةُ النُّطْسُ مَن أَنتَ خادمُ

كأنك - إن حاربتَ - فوْقكَ عنترٌ ... وتحتَ ابنِ سينا أنت حين تسالِمُ

ستُجْزَى التماثيلَ التي ليس مِثلُها ... إذا جاءَ يومٌ فيه تُجزَى البهائمُ

فإنك شمسٌ ، والجياد كواكبٌ ... وإنك دينارٌ ، وهن الدراهمُ

[الأساة النـُّطس : الأطباء المهَرة ، جمع آسٍ : طبيب ، ونطاسي : ماهر في الطب]

فهو يتخيل محجوبا فارسا يصول ويجول بحصانه كأنه عنترة بن شداد أما إذا ركبه وسار به إلى العيادة أو المستشفى فهو يتخايل في مشيته كأنه (ابن سينا) أشهر أطباء العرب .

ويتصور شوقي الحصان " مكسي " وقد أقيمت له تماثيل مختلفة تمثل وقفته حين يكون صاحبه جالساً في الأماكن التي يرتادها عادة وهي مقهى (البرلمان) ومقهى (بار اللواء) ومقهى (الأهرام) ، وكان محجوب ثابت إذا ارتاد أحد هذه الأماكن اتخذ مكانه بين رفاقه ، وأوقف حصانه على مقربة منهم فأصبح ذلك من علامات وجوده في تلك الأماكن :

مثالٌ بِساحِ البرْلمانِ مُنَّصبٌ ... وآخرُ في (بار اللِّوا) لك قائمُ

ولا تظفرُ (الأهرامُ) إلا بثالثٍ ... " مزاميرُ " داود عليه نواغِمُ

وكم تَدَّعي السُّودانَ يا مكس هازلاً ... وما أنت مُسْودٌّ ، ولا أنت قاتمُ

وما بك مما تُبصرُ العينُ شُبهةٌ ... ولكن مشِيبٌ عَجَّلتْهُ العظائمُ

كأنك خيْلُ التركِ شابَت مُتونهُا ... وشابت نواصيها ، وشاب القوائمُ

فيا رُبَّ أيامٍ شهدْتَ عصيبةٍ ... وقائعُها مشهورةٌ والملاحِمُ

ومرة أخرى يتوجه شوقي بالخطاب إلى الحصان (مكسويني) في قصيدته التي سخر فيها من سيارة محجوب ثابت والتي جعل عنوانها (بين مكسويني والأوتومبيل) فقد قال فيها يخاطب الحصان وقد استخدم في ندائه إياه ما يسمى

عند اللغويين بـ " الترخيم " وهو إسقاط بعض حروف الاسم تدليلاً أو تعظيماً أو تقرباً من المخاطب . فقال شوقي :

أَدُنيا الخيلِ (يا مكسِي) كدنيا الناس غدّارة ؟!

لقد بَدّلك الدهر من الإقبال إدباره

فصبراً يا فتي الخيلِ فنفسُ الحرِّ صبَّاره

أحقٌ أن (محجوباً) سلا عنك بفخَّاره ؟

وباع الأبلقَ الحرَّ بـ (أوفرْلاندْ) نعَّاره ؟

و"الأوفر لاند" هي ماركة السيارة التي اقتناها محجوب ثابت وقد وصفها شوقي بانها نعَّارة أي ذات صوت مزعج ، ثم انتقل في قصيدته إلى لوم صديقه الذي تنكر لحصانه فتخلى عنه متناسياً ماضيه في الجهاد مع صاحبه ، وهو جهاد ليس له أساس في الواقع ، بل هو من خيال شوقي الذي تصور مروق الحصان وسط الصبية ، الذين كانوا يتصايحون إذا رأوه ، جهاداً وحرباً ضروسا فيها رايات و غارات وكر وفر ، ورشاشات وبنادق [الغدارة : اسم قديم للبندقية] ومع ذلك فإن نحجوبا لم يحفظ للحصان هذا التاريخ وذلك البلاء فشَلَحَه (طرده) أي فرط فيه تفريط الكاره المبغِض غير الندم على الفراق ، مع أنه لم يكن يكلفه تغذية فقد عاش معه جائعا محروما من البرسيم الذي لم يره ولم ير زهوره ونواره في حياته مع محجوب :

ولم يعـــــرفْ لـــــه الفضـــــلَ ولا قـــــــــدَّرَ آثـــــــــاره

قـــــد اختـــــار لـــــك الشَّلْـــــحَ ومـــــا كنـــــت لتختـــــاره

كـــــأنْ لم تحمـــــل الـــــرا يـــــة يـــــوم الـــــروع والشـــــارة

ولم تركـــــــب إلى الهـــــــول ولم تحمـــــل عـــــلى الغـــــارة

ولم تعطـــــف عـــــلى جرحـــــى مـــــن الصـــــبية نظَّـــــارة

فمضرـــــــوب برشَّـــــــاش ومقلـــــــوب بغـــــــدَّاره

ولا والله مـــــــا كلَّفـــــــ ـــــــتَ محجوبـــــا ولا بـــــارة

فسـلْه : مـا هـو الشـلحُ ؟ عسـى يُنْبيـك أخبـاره

فـــلا البرســـيم تدريـــه ولا تعـــرف نـــوَّاره !!!

وأما سخرية شوقي بصاحبه محجوب - بعيداً عن الحصان - فقد أخذت أربعة مسارات :

الأول : التهكم من سيارته :

فقد جعل منها شوقي أضحوكة يتندر بها الجيران فهي ضعيفة لا تقوى على السير با تنهار من جانبيها إذا أراد تحريكها . وهي عجيبة الطبع تقف إذا شاءت وتمشي إذا شاءت من تلقاء نفسها وهي مثار سخرية الصبية في الشوارع يتصايحون إذا رأوها مثلما يتصايحون عندما تمر فوقهم طائرة يقول شوقي :

لكـــم في الخـــط سيـــارة حـــديث الجـــار والجـــارة

(أوفرْلانـــــدْ) يُنبِّيـــــــك ... بهـــا القنصـــل (طـــمَّاره)

كســـــيارة (شـــــارْلبوت) ... عـــلى الســـواق جبـــــارة

غـــذا حرَّكهـــا مالـــــت ... عـــلى الجنبـــين مُنهـــارة

وقـــد تحـــرن أحيانـــاً ... وتمشي ـــ وحـــدها تـــارة

ولا تشـــــبعها عيـــــنٌ ... مـــن البنـــزين فـــوَّارة

ولا تُـــروَى مـــن الزيـــت ... وإن عامـــت بـــه الفـــارة

تـــرى الشـــارع في ذعـــر ... إذا لاحـــت مـــن الحـــارة

وصـــــبياناً يضِجُّـــــون ... كـــما يلقـــون طيَّـــارة

وفي مَقْـــــدَمها بـــــوق ... وفي المـــؤخر زُمَّـــــارة

فقـــد تمشي ـــ متـــى شـــاءت ... وقـــد ترجـــع مختـــارة

قضى ـــ الله عـــلى السَّـــوَّا ... قِ ، أن يجعلهـــــــا داره

يُقضيِّـــ يومـــه فيهـــا ... ويلقـــى الليـــل مـــا زاره

الثاني : التهكم من بخله :

ويبدو تهكم شوقي من بخل صاحبه في قصيدته التي جعل عنوانها (ذخيرة) ويتحدث فيها شوقي عن (ألفين) من الجنيهات كان محجوب ثابت قد أودعها مصرفاً يمتلكه حسن باشا سعيد وقد قيلت هذه القصيدة إبان ثورة ١٩١٩م وكان محجوب ثابت من المشاركين فيها . ولم يكن لديه أية رغبة في المساس بهذا المبلغ

فعيره شوقي بهذا الحرص الشديد على كنزه الثمين ، يقول شوقي مخاطباً محجوب ثابت الذي كان يلقبه دائماً بابن سينا ، أو " الرئيس " وهو لقب ابن سينا الطبيب العربي الشهير ويعرِّض شاعرنا بمبلغ ألفين من الجنيهات يبدو أنهما كانا وديعة أودعها الدكتور محجوب في أحد البنوك آنذاك :

قـــل لابـــن ســـينا : لا طبيـــ ـــــب اليـــوم إلا الـــدرهم
هـــو قبـــل بقـــراط وقبـــ ـــــلك للجراحـــة مرهـــــم
والنـــاس مـــذ كـــانوا عليـــه دائـــــــرون وحُـــــــوَّم
وبســـحره تعلـــو الأســـــا فـــلُ في العيـــون وتعظـــم
يـــا هـــل تـــرى الألفـــان وقـــ ـــفٌ ، لا يُمَـــسُّ ومَحْـــرم ؟!
بنـــك " الســـعيد " عليهمـــــا حتـــى القيامـــة قيِّـــم
لا " شـــيك " يظهـــر في البنـــو ك ولا " حوالـــة " تُخصـــم
وأعـــف مـــن لاقيـــت يلقـــ ـــــاه فـــلا يتكـــرم !

الثالث : التهكم من البراغيث المحجوبية :

وفي قصيدته الشهيرة (براغيث محجوب) يتهكم شوقي على صديقه الذي تملأ البراغيث عيادته ، وتستقبل زائريه من على باب العمارة ، بل هي تستقبلهم من الطريق فترافقهم إلى باب العمارة في صفوف متراصة راقصة ، فإذا دخل الضيف أبصر هذه البراغيث في شارب الطبيب ولحيته وداخل غليونه الذي يدخنه ، بل وبين أسنانه تروح وتغدو باحثة عن بقايا طعام والقصيدة آية من آيات السخرية

والفكاهة العذبة ، وفي الأبيات يقول شوقي إنه – بفضل تلك البراغيث – استغنى عن عادة كانت تلازمه وهي الاحتجام بين الصيف والخريف نظرا لتغير الجو ، فترك تلك العادة لأن البراغيث كفته مؤونة الحجامة لكثرة ما امتصت من دمائه فيقول شوقي فيها :

براغيـــث محجـــوب لم أنسهـــا ... ولم أنـس مـا طعمـت مـن دمـي

تشـــق خراطيمهـــا جوربـــي ... وتنفـذ في اللحـم والأعظـــم

وكنت إذا الصيف راح احتجمْت ... فجـاء الخريـف فلـم أحجـم

ترحب بالضيف فوق الطريـــــ ... ـــق ، فبـاب العيـادة فالسلـم

وهذه البراغيث تتراقص كما تتراقص الأمواس الحداد [جمع موسي] وهي تقد الجلد قدا ، وقد اعتادت هذه البراغيث أن تخرج من مكانها مبكرة في مطلع فصل الشتاء . وقد يكون من مكامنها فم صديقه الطبيب فهو إذا تنخم وألقى بالبلغم خرجت هذه البراغيث من البلغم المقذوف :

قـد انتشرت جوقـة جوقـة ... كـما رُشـت الأرض بالسمسـم

وترقص رقص المواسي الحداد ... على الجلد ، والعَلَق الأسحم

بـواكير تطلـع قبـل الشتـاء ... وترفـع ألويـة الموسـم

إذا مـا " ابـن سينا " رمـى بلغماً ... رأيـت البراغيـث في البلغـم

وتبصرها حول " بيبا " الرئيس ... وفي شـاربيه وحـول الفـم

وبـين حفـائر أسنانـه ... مـع السـوس في طلـب المطعـم

الرابع : التهكم بحرف (القاف) عند محجوب ثابت :

وكان من لوازم محجوب ثابت الإكثار من استخدام حرف القاف في كلامه كما كان معروفاً بخطبه الطويلة التي كان يلقيها في جموع العمال وأكثرهم عنه غافلون . وحدث ذات مرة شقاق بين محجوب ثابت وسليمان فوزي صاحب مجلة الكشكول وأراد شوقي أن يصلح بينهما فرفض محجوب ثابت الصلح فقال شوقي على لسانه هذه القصيدة التي تفيض سخرية لتعمده الاستكثار من ذكر حرف (القاف) فيها :

يميناً بالطلاق وبالعتاق ... وبالدنيا المعلقمة المذاق

وكل فقارة من ظهر " مكسي- " ... بصحراء الإمام وعظم ساق

وتربته وكل الخير فيها ... ونسبته الشريفة للبراق

وبالخطب الطوال وما حوته ... وإن لم يبق في الأذهان باق

وبعد أن أقسم محجوب ثابت بالطلاق والعتاق وفقرات ظهر حصانه "مكسويني " وقبر حصانه المدفون في مدافن صحراء الإمام الشافعي بالقاهرة ، يأتي جواب ذلك القسم استنكاراً للشتيمة التي نالته من صديقه سليمان فوزي ، وكيف يُشتم وهو ذو غليون وطباق وله رهط من العمال ينصرونه إذا حُمَّ الوغي :

وكسري الشعر إن أنشدت شعراً ... ونطقي القاف واسعة النطاق

أيشتمني سليمان بن فوزي ... و" بيبي" في يدي ومعي " طباقي "

وتحت يدي من العمال جمع ... يشمر ذيله عند التلاقي

ولســـنا في البيـــان إذا جرينـــا لأبعـــد غايـــة فـــرسي سبـــاق

تقـاقي ذقنـه مـن غـير بَيْـض ولي ذقـــن تبـــيض ولا تقاقـــي

[تقاقي : أي تكاكي وهو الصوت الذي يصدر عن الدجاج] وكأن الشاعر تخيل لحية صاحبه دجاجة تصيح ولا تبيض على حين لحيته هو دجاجة تبيض ولا تصيح ، وهو تصوير فكه ليس له دلالة إلا السخرية من صديقه الذي يحلق شاربه ولحيته ، والكلام هنا - كما هو واضح - يجريه شوقي على لسان محجوب ثابت

وتحـلاق اللحـى مـا كـان رأيـي ولا قص الشوارب من خلاقي

ألا طـز عـلى العيهـور طـز وأن أبـدى مجاملـة الرفـاق

بقارعـة الطـرق ينـال منـي ويوسـعني عناقـاً في الزقـاق

وليس من الغريب سواد حظي وبالسودان قد طال التصاقي

الم يـر أننـي اعرضـت عنـه وصـار لغـير طلعتـه اشتياقـي

وسبحان المفرق : حظ قـوم قنـاطير وأقـوام أواقـي

وعـيش كـالزواج عـلى غـرام وعـيش مثـل كارثـة الطـلاق

ويستخدم شوقي في الأبيات السابقة كلمتين من العامية المصرية شديدتي السخرية ، وهما كلمة "طز" بمعنى : أن هذا الشيء أو ذلك الشخص لا يهمني أو هو عديم الأهمية ، وكلمة "العيهور" وهي توحي بما توحيه كلمة المغفل أو الأحمق والإشارة إلى السودان في الأبيات إشارة إلى مدوة طويلة كان الدكتور محجوب

ثابت قد قضاها بالسودان الذي كان في ذلك الوقت جزءاً من المملكة المصرية ويختتم الشاعر قصيدته على لسان محجوب ثابت بهذا البيت الهازل :

أمـور يضـحك السـفهاء منهـا ويبكـي البلشـفي والاشـتراقي

[والاشتراقي هي الاشتراكي ولكن بلغة سيد القافات : محجوب ثابت !!!]

الفكاهة في المسرح الشعري عند شوقي

على الرغم من كثرة الدراسات التي قدمت عن أحمد شوقي وادبه وشعره فإننا لا نجد دراسة واحدة من بين هذا الكم من الدراسات تخصصت في دراسة الفكاهة في شعره بصفة عامة ، فضلاً عن أن نجد دراسة تخصصت في الفكاهة في مسرحه الشعري ، ذلك الفن العظيم الذي يدين بوجوده كجنس أدبي استمر في أدبنا العربي المعاصر لمؤسسه أحمد شوقي ، وفي السطور التالية سوف نتلمس بعض مواقف الفكاهة في مسرحيتين فقط من مسرحياته الشعرية :

الفكاهة في مسرحية " البخيلة " :

تتلخص هذه المسرحية في أن امرأة عجوزاً اسمها نظيفة - لاحظ دلالة الاسم - كانت تعيش مع خادمتها (حُسنى) وحفيدها (جمال في بيت قديم ويعانيان معها اشد المعاناة مما هي عليه من تقتير وإمساك . ويحاول سمسار اسمه (رشاد) التغرير بجمال ليزوجه فتاة من أحد البيوتات التي أخنى عليها الزمن فيوافق جمال ، متجاهلاً الحب الصامت الذي تكنه له الخادمة (حُسنى) وعندما تموت السيدة البخيلة يتسامع الجيران بنبأ خطير مؤداه أن السيدة العجوز أوصت

بكل ثروتها لخادمتها ، فيفاجأ جمال بأن خطيبته تفسخ خطبتها منه ، وفي اللحظة نفسها تصارحه (حُسنى) بأنها تتنازل له طواعية عما ورثته لأنه الأحق بهذا فيسعد بهذا الدليل القوي على حبها إياه ، ويرضى بها زوجاً ، وتكتمل سعادته عندما تصارحه الفتاة بأنها اتفقت مع العجوز على هذا (المقلب) لكي تعيد للفتى الطائش عقله ليحافظ على ثروته .

وفي المسرحية شخصيات أخرى هامشية مثل الطبيب عبد السلام مرتضى المعروف بجهله وعلاجه لمرضاه على النواصي والطرقات .

ومن مواقف الفكاهة في المسرحية ذلك الحوار الذي يدور بين رشاد (السمسار) وعزيز (وهو أحد أبناء الذوات التافهين) وكانا يجلسان على المقهى وقد جاء جمال فدار بينهما هذا الحوار :

رشاد : هذا جمال وحيد جَدَّة بخيلة يا عزيز ، جِلْدة !!

عزيز : وعمرها يا رشاد ؟

رشاد : يربو على الثمانين

عزيز : تلك مدة !!

وبعد أن يغري رشاد السمسار صديقه عزيزاً ابن الذوات بتزويج اخته من جمال الذي سيرث أموال جدته البخيلة . يستمر الحوار بينهما فيمارس السمسار أسلوب التزيين الزائف والكذب والغش ليصل إلى هدفه ، ومرة أخرى يدور الحوار بينهما بهذا الشكل الذي تبدو فيع براعة الفكاهة عند شوقي :

عزيز : لم تقل عن الفتى . ما أبــوه ؟

رشاو: كان فخر الرجال ...كان مديرا

[ثم لنفسه]

كـان واللهِ يسـكع الصـبح والليـ ـــلَ إلى كـل حانـة، سِكِّيـــرا

عزيز: والفتى . كيف شغله ؟

رشاو : في الدواوين

عزيز : إذن قد نراه يوماً وزيـرا

رشاو : لم لا ؟

[ثم لنفسه]

إننـي قلتهـا ومـن أيـن أدري ؟ ربـما صـار حاجبـاً أو غفيـرا

[ثم لعزيز]

لا تسـلني مـن أبـوه يـا أخـي أو مـن الأم وسـل مـا جدتـه ؟

لا ولا مـا شـغله ؟ مـا جاهـه ؟ في الـدواوين ولا مـا رتبتـه

فجـمال في غـد أو بعـده بـوزيرين تُسـاوَى ثروتـه

(بعد لحظة)

ولمْ لا وجدَّتُـه نمـلةٌ إذا وقفـتْ أو مشـت حَصَّلـتْ

وتـدخل في بيتهـا مـا تصـيب ولا يخـرج الـدهرَ مـا أدخـلتْ

لـو انقلبـت مـن جميـع الجهـات عـلى القـش في فمهـا مـا انفلـتْ

تـرى المـال في بيتهـا في اللحـاف وتحـت الـبلاط وحشـو الشِّلَـتْ

وتقدم لنا المسرحية حواراً بين شخصين مجهولين كانا يجلسان على المقهى فيما كان الطبيب الجاهل عبد السلام مرتضى يجلس بالقرب منهما منغمساً في قراءة صحيفة وقد أعطاهما ظهره فدار بينهما هذا الحوار الفكه :

الأول : من ذلك المُطِـلُّ مـن لحيتـه كالبغل من وراء مخلاةٍ رنا

الثاني : تسأل عن ذاك الذي انحنى على صحيفة يقرا وولانا القفا ؟

الأول : أجل . أجل هذا القفا

الثاني : هذا هو الدكتور

الأول: من ؟

الثاني: عبد السلام مرتضى

يقـرأ مـا صـادف مـن جريـدةٍ مـن سـطرها الأول حتـى المنتهـى

وتستوي صحف الصباح عنـده وصحفُ ظَهَـرن من عـام مضـى

تـذاكر الـدفن التـى يكتبهـا في الشـهر أضـعاف تـذاكر الـدوا

ويصف أحد الرجلين لصاحبه بخل هذا الطبيب وصفاً دقيقاً فقد كان ضيفه يوماً ورآه وهو يقسم البيضة بين أربعة ضيوف ويأمر برفع اللحم من على المائدة بحجة انه غير ناضج ، وهو يطوف بالمقاهى لا يطلب لنفسه غير (شيشة) يظل يدخنها طوال مدة بقائه التي قد تستمر الليل كله أو النهار كله . فهو يعالج مرضاه على المقهى :

الأول : وذلك الدكتور ؟

الثاني : هذا " مادر"

الجوع يا أخي ولا الأكل معه

لقد دعاني للغداء مـرة فقسَّم البيضة بين أربعـــة

وجيء بالشواء

الأول : قل ماذا جرى ؟

الثاني : أوما إلى خادمه أن يرفعه

رأى فيـــه عيبـــاً وإن لم نجـــد على اللحم عيباً سوى قلتـــه

فقـد كـان أنضـج لحـم رأيـت وقـد كـان كالمسـك في نكهتـــه

ومـــن بخلـه تفـتح القهـــوات وتغلـق وهـو عـلى " شيشـته "

يقضيـــ بهـــا طـــرفي يومـــه ويمضيـــ بهـــا طـــرفي ليلتـــه

الأول : ومرضاه ؟

الثاني : يلقاهمو في الطريـ ـق حيناً ، وحيناً على قهوتـه

ومن مواقف الفكاهة الطريفة في هذه المسرحية ذلك الموقف الذي تأمر فيه البخيلة خادمتها (حُسنى) بأن تطبخ لها طبيخاً فإذا بها تطبخ لها (البامية) لأنها جديدة في السوق ، وبعد أن تزأر المرأة العجوز وتتحسر لأن ثمنها - ما دامت جديدة - لابد أن يكون غالياً ،تقنعها الخادمة بأنها بامية مهداة لها من أحد

أقاربها فتسر العجوز وحينئذ يظهر (جمال) حفيد البخيلة فيدور بين السيدة (نظيفة) وخادمتها هذا الحوار :

نظيفة : عندي " جمال " يتغدى معي هاتي حديث " الباميا "هاتي

حسنى : سوف ترى يا سيدي صنعتي وسوف تنسى " كفتة الحاتي "

نظيفة : حُسنى بذلت كثيراً وما رفقت بمالي

أكفتة بيمين وباميا بشمال ؟

حُسنى :

سيدتي لا تغضبي لا لحم في الـ ـمطبخ لا كفتة لا كبابا

العظم لا غير ملأت " الباميا " منه ...فطابت نكهة وطابا

نظيفة :

يسلم فوك يا ابنتي

(ثم لجمال) : اسمع لها

" جمال " .. كيف تحسن الجوابا

وبعد موت البخيلة تتحدث الخادمة إلى نفسها عن سيدتها الفقيدة وعن معاناتها معها فتقول :

سيدتي وبخلها في " الخط " سارا كالمثل

وانتقلت وذكرها بالبخل فيه ما انتقل

يرحمها الله فما أنسى لها تلك الجمل

في غضـــب عنـــد الحـــوا ... ر واضـــطراب و " زعـــل "
ومـــا اختلفنـــا مـــرة ... في حَمَـــل ولا جمـــل
لكـــن لأجـــل الثـــوم كـــا ... ن الخلـف ، أو حـول البصـل
ولم نكـــن مـــن الدقيـــ ... ـــق ننتهـــي ولا العســـل
يرحمهـــا الله وإن ... لم تـــأت يومـــاً بحســـن
عاشـــت بثـــوب واحـــد ... كالميـــت عـــاش بكفـــن

الفكاهة في مسرحية " الست هدى " :

تدور أحداث هذه المسرحية في بيت يقع في حي الحقيقي في منطقة السيدة زينب بمدينة القاهرة وزمنها عام ١٨٩٠م . وقد اختار شوقي الزمان والمكان بعناية ليقدم لنا من خلالهما فكرت هالتي تتلخص في وصف حياة نساء ذلك العصر وكيف كان الرجل اللعبة المفضلة لديهن فبطلة المسرحية هي الست هدى وهي امراة مزواج لديها ثروة ضخمة من الأطيان الزراعية والأموال وليس لها حظ من الجمال أو الجاه ولكنها تستمد قوتها من ثروتها فهيي تتزوج وتطلق حتى تنتهي المسرحية بموتها بعد أن وقفت كل أموالها لجارتها أو بنات جارتها وبنت زوجها الأول ، وهكذا يصطدم آخر أزواجها واسمه السيد العجيزي وكان قد منى نفسه بأن يرثها وبدأ يتصرف مع أصدقائه النادمين . والمسرحية من أولها لآخرها مسرحية فكاهية ، فمن الصعب أن نرصد ظواهر معينة للفكاهة في تضاعيفها ، ولكننا سنختار لقطات فيها روح شوقي الشاعر الفكه .

ففي بداية المسرحية تتحدث الست هدى لإحدى جاراتها عن سر اهتمام جاراتها وجيرانها بأمور زواجها فتقول :

يقولـون في أمـري الكثيرَ وشُغلهـم حديثُ زواجي او حديث طلاقي

يقولـون إني قـد تزوجـت تسعـة وإني واريـتُ الـتراب رفاقـي

ومـا أنـا " عزريـل " وليس بـما لهـم تزوجـت ، لكـن كـان ذاك بـمالي

وتلـك فـداديني الثلاثـون كلمـا تـولى رجـال جئننـي برجـال

وتستعرض الست هدى أزواجها واحداً واحداً فلا تثني خيراً إلا على زوجها الأول - الذي ستوصي قبل وفاتها ببعض مالها لابنته - أما بقية ازواجها فكلهم تزوجوها طمعاً في مالها . فهي تقول عن (علي) زوجها الثاني :

وزوجـيَ الثـاني " عـلي " لم يكـن يصـلح لـي

يا ليتني لم أقبل

ذاك ، لمـالي اختارنـي واخترتُـه لمالـه

مـا كـان إلا مفلسـاً وقعـت في حبالـه

يرحمـه الله ، وكـان ذا بَخَـرْ وكـان إن يقعـد وإن يقـم نَخَـرْ

وإن مشى تخرج أصوات أُخَرْ

يرحمـه الله لقـد عشـنا معـاً مـن السـنين الصـاخبات أربعـا

ثم مضى لربه لا رجعا

رحمـــــــة الله عليـــــــه جـــــنَّ بالنســـــل جنونـــــا

ثـــم لمـــا مـــات ، مـــا خلـــــف لي إلا ديونـــــا

وتقول عن زوجها الرابع وكان أديباً :

ولســت أنسـى زوجـي الرابعـا لا نافعـا كـان ولا شافعـــــا

قـالوا : أديـب لم يـروا مثالـه ولقبـوه الكاتـب البارعـــــا

قـــد زينـــوه ليَ ، فاخترتـــه مـا اخـترت إلا عـاطلاً ضـائعا

ثم تزوجت الست هدى بنقيب (يوزباشي) اسمه " قمر" ولم يكن حظها معه بأسعد من حظها مع سابقيه فهي تذكره بكل شر وتدعو عليه بألا يرتقي إلى رتبة رائد (صاغ) فتقول عنه :

لا عفا الله عنه ، لا غفر الـــ ـله له ، لا ارتقى ارتية " صاغ "

لا عفا الله عنه ، قد كان لصاً ، لم يردني لكن أراد " مصاغي "

وتحكي هدى لصديقتها عن سبب كراهيتها للنقيب " قمر" ، فقد أحبته من جانبها حباً حقيقياً ، ولكنه كا سكيراً مقامراً فلم يكن يهمه منها إلا أن يأخذ من مالها ليشبع ثرواته :

لحاه الله كان منى فؤادي وفاكهتي وريحاني وراحـــي

وكنت أحبه ويحب طيني ويحلم بالقلادة والوشـــاح

وكان مقامراً شرِّيبَ خمر يجيء البيت في ضوء الصباح

يكاد إذا تورط في قمار يقـامر بالنجوم وبالسـلاح

ثم تحكي الست هدى عن زواجها بأحد الموظفين وتصفه بأنه كان " نظيف الجيب " كناية عن فقره :

وعشـــت عـــامين دون زوج ثـــم تزوجـــت بالموظَّـــفْ
لم أنســـه منـــذ مـــات يومـــاً ما كان أبهى ! ما كان أظرف !
كـــان خفيفـــاً وكـــان حلـــواً ومـــن نسـيم الربيـع ألطـف !
مـــا كنـــت أدري إذا تولـــى أجيبـــه أم قفـــاه أنظـــف ؟؟

وقد كان إلى جانب فقره مغروراً يحلم بأن يكون يوماً وزيراً كبيراً :

رحمـــــة الله عليـــــه كـــــان "جخَّاخـــاً "كبـــيرا
كـــل يـــوم يـــدع البيـــ ـــت رئيســـاً أو وزيـــرا
ثـــم لا يرجـــع لي إلا كـــما كـــان صغـــيرا

[جخَّاخاً = كذابا فشَّاراً]

وتنتقل الست هدى إلى زوجها الآخر (الشيخ عبد الصمد) ثم إلى زوجها من بعده وكان مقاولاً اسمه " مهدي " ...إلى أن تصل إلى زوجها الحالي وهو " عبد المنعم المحامي " وهو رجل سكير لا يكاد يفيق .

وفي نهاية حديثها عن كل زوج تختم قصتها عن كل منهم بهذين البيتين

عشـت مـع الشـيخ نصـف عـام وكـان عمـري عشـرين عامـا
ومـــات واختـــارني ســـواه مـــن ذا يـــرى فعلتـــي حرامـــا ؟

أو بمثل هذين البيتين :

عشـــنا ثلاثـــاً ثـــم افترقنـــــا وكـــان عمـــري عشـــرين عامـــا

طلقنـــي فالتمســـت زوجـــاً مـــن ذا يـــرى فعلتـــي حرامـــا ؟

وهكذا كانت في كل مرة من مرات فراقها لأحد الأزواج بالموت أو الطلاق بنت عشرين عاماً لا تزيد . وترد عليها جارتها زينب في نهاية كل قصة :

أجـــل تعيشـــين وتدفنينـــــا حتـــى تصـــيبي مـــنهم البنينـــا